عطف (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) على قوله (إن الدين عند ا الإسلام) للإخبار عن حال أهل الكتاب من سوء تلقيهم لدين الإسلام ومن سوء فهمهم في دينهم .

وجيء في هذا الإخبار بطريقة مؤذنة بورود سؤال ؛ إذ قد جيء بصيغة الحصر : لبيان سبب اختلافهم وكأن اختلافهم أمر معلوم للسامع . وهذا أسلوب عجيب في الإخبار عن حالهم إخبارا يتضمن بيان سببه وإبطال ما يتراءى من الأسباب غير ذلك مع إظهار المقابلة بين حال الدين الذي هم عليه يومئذ من الاختلاف وبين سلامة الإسلام من ذلك .

وذلك أن قوله (إن الدين عند ا الإسلام) قد آذن بأن غيره من الأديان لم يبلغ مرتبة الكمال والصلاحية للعموم والدوام قبل التغيير بله ما طرأ عليها من التغيير وسوء التأويل إلى يوم مجيء الإسلام ليعلم السامعون أن ما عليه أهل الكتاب لم يصل إلى أكمل مراد ا من الخلق على أنه وقع فيه التغيير والاختلاف وأن سبب ذلك الاختلاف هو البغي بعدما جاءهم العلم مع التنبيه على أن سبب بطلان ما هم عليه يومئذ هو اختلافهم وتغييرهم ومن جملة ما بدلوه الآيات الدالة على بعثة محمد A . وفيه تنبيه على أن الإسلام بعيد عن مثل ما وقعوا فيه من التحريف كما تقدم في المظهر التاسع ومن ثم ذم علماؤنا التأويلات البعيدة والتي لم يدع إليها داع صريح .

وقد جاءت الآية على نظم عجيب يشتمل على معان : منها التحذير من الاختلاف في الدين أي في أصوله ووجوب تطلب المعاني التي لا تناقض مقصد الدين عبرة بما طرأ على أهل الكتاب من الاختلاف .

ومنها للتنبيه على أن اختلاف أهل الكتاب حصل مع قيام أسباب العلم بالحق فهو تعريض بأنهم أساءوا فهم الدين .

ومنها الإشارة إلى أن الاختلاف الحاصل في أهل الكتاب نوعان : أحدهما اختلاف كل أمة مع الأخرى في صحة دينها كما قال تعالى : (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) وثانيهما اختلاف كل أمة منهما فيما بينها وافتراقها فرقا متباينة المنازع . كما جاء في الحديث (اختلفت اليهود على اثنتين وسبعين فرقة) يحذر المسلمين مما صنعوا .

ومنها أن اختلافهم ناشئ عن بغي بعضهم على بعض .

ومنها أنهم أجمعوا على مخالفة الإسلام والإعراض عنه بغيا منهم وحسدا مع ظهور أحقيته عند علمائهم وأحبارهم كما قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) وقال تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) أي أعرضوا عن الإسلام وصمموا على البقاء على دينهم وودوا لو يردونكم إلى الشرك أو إلى متابعة دينهم حسدا على ما جاءكم من الهدى بعد أن تبين لهم أنه الحق .

ولأجل أن يسمح نظم الآية بهذه المعاني حذف متعلق الاختلاف في قوله (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) ليشمل كل اختلاف منهم : من مخالفة بعضهم بعضا في الدين الواحد ومخالفة أهل كل دين لأهل الدين الآخر ومخالفة جميعهم للمسلمين في صحة الدين .

وحذف متعلق العلم في قوله (من بعد ما جاءهم العلم) لذلك .

وجعل (بغيا) عقب قوله (من بعد ما جاءهم العلم) ليتنازعه كل من فعل (اختلف) ومن لفظ (العلم) .

وأخر بينهم عن جميع ما يصلح للتعليق به : ليتنازعه كل من فعل (اختلف) وفعل (جاءهم) ولفظ (العلم) ولفظ (بغيا) .

وبذلك تعلم أن معنى هذه الآية أوسع معاني من معاني قوله تعالى (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم) في سورة البقرة وقوله (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) في سورة البينة كما ذكرناه في ذينك الموضعين لاختلاف المقامين .

A E